وقفة: مع الأيتام

العجب كل العجب، من أولائك الذين جعل الله تعالى لهم طريقًا إلى الجنة، وسببًا إلى رضوان الله، ولكن وللأسف، جفت ينابيع الرحمة في نفوسهم، وقست قلوبهم.

أولائك هم الذين يَأوُونَ أيتامًا في بيوتهم، ولا يحسنون إليهم، ولا يعاملونهم المعاملة التي ترضي الله تعالى، وترضي رسوله صلى الله عليه وسلم .

أنسي هؤلاء وغيرهم، أن الأيتام أحق الناس بالرحمة لهم، والرأفة بهم، والشفقة عليهم، نظرًا لضعفهم، وصغرهم وعجزهم، فيا عجبي كيف أصبحت قلوب كثيرٍ من الناس إلا من رحم الله!

أيها المسلم المبارك، إن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم ، وقد عاش يتيمًا، قد عرف ما يهزّ مشاعر اليتامى، وما يواسيهم، وما يفرح قلوبهم، وما يؤلمهم وما يسعدهم، فأمر بإكرام اليتامى، واستوصى بهم خيرًا، فها هو يقول صلى الله عليه وسلم :♂**خير بيت في المسلمين، بيت فيه يتيم يُحسنُ إليه، وشر بيت في المسلمين، بيت فيه يتيم يساء إليه**ـــ، رواه ابن ماجه.

وكان صلى الله عليه وسلم ، يمسح على رؤوس اليتامى، رأفة بهم، وشفقة عليهم، وامتثالاً لأمر ربه تعالى:{فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩} [الضحى: ٩].

واستمع إليه صلى الله عليه وسلم ، وهو يجعل من منزلة اليتيم، ومقامه عند رب العالمين، كمنزلة النبيين، قال صلى الله عليه وسلم :♂**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**ـــ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما، رواه البخاري.

أفلم يع المسلمون مكانة الأيتام، فيحسنوا إليهم، ويكرموهم، وينفقوا عليهم مما بسطه الله لهم من رزق؟

أم اختاروا الطريق الأخرى، فصاروا يعاملون اليتامى بجفوة وغلظة، ويدُعُّونهم دعًا، فكأنه ما مرّ بهم قول الله تعالى:{أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾} [الماعون: ١ - ٣].

فيا أيها الأحبة، لقد أولى الشارع الحكيم، اهتمامًا كبيرًا بالأيتام، فجاء التأكيد الإلهي في النهي عن أكل أموال اليتامى بالباطل، في غير موضع من كتاب الله جل وعلا، كما جاء الأمر بحسن رعاية اليتيم، وتعاهده إلى أن يبلغ سنّ الرشد، وتظهر أمارات الحكمة في تصرفاته، وذلك في آيات كثيرة، فمن ذلك قول ربنا:{وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ} [الأنعام: ١٥٢].

وقد بلغ التحذير من أكل مال اليتامى ذروته، في قول الله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾} [النساء: ١٠].

فيا أيها الأخ الحبيب، وأيتها الأخت الفاضلة، ذلك هو اليتيم، وذلك هو ما ينبغي له باختصار الاختصار.

فالله الله في اليتامى، امسحوا على رؤوسهم، لا تهربوا من كفالتهم، وقوموا على شؤونهم، وتقربوا لله سبحانه وتعالى برعايتهم وتعاهدهم.

ومن كان كافلاً لليتيم قائمًا على رعايته بتقوى الله، ووفق ما شرع جل وعلا فليبشر بالثواب العظيم، ومن كان مقصرًا، ولليتامى مسيئًا فليستغفر الله، إن الله هو الغفور الرحيم.

واعلم أيها القارئ الكريم، أن ظلم اليتيم، وإيذاءه، وأكل ماله بالباطل، حرام حرامٌ حرام، ونار تلظى، وظلم وسُحت، نسأل الله أن يجيرنا من ذلك.

* * *